



مجلة

الدراسات الأدبية

علمية محكمة
فصلية

تصدر عن كلية الآداب

العدد: الثاني والسبعون
السنة: الثامنة والأربعون

الموصل

١٤٣٩هـ / ٢٠١٨م

الهيئة الاستشارية

- أ.د. وفاء عبد اللطيف عبد العالي - جامعة الموصل/ العراق (اللغة الإنكليزية)
- أ.د. جمعة حسين محمد البياتي - جامعة كركوك / العراق (اللغة العربية)
- أ.د. قيس حاتم هاني الجنابي - جامعة بابل/ العراق (تاريخ وحضارة)
- أ.د. حميد غافل الهاشمي - الجامعة العالمية للعلوم الإسلامية/ لندن (علم الاجتماع)
- أ.د. رحاب فائز أحمد سيد - جامعة بني سويف / مصر (المعلومات والمكتبات)
- أ. خالد سالم إسماعيل - جامعة الموصل/ العراق (لغات عراقية قديمة)
- أ.م.د. علاء الدين احمد الغرايبة - جامعة الزيتونة/ الأردن (اللسانيات)
- أ.م.د. مصطفى علي دويدار - جامعة طيبة/ السعودية (التاريخ الإسلامي)
- أ.م.د. رقية بنت عبد الله بو سنان - جامعة الأمير عبدالقادر/ الجزائر (علوم الإعلام)

الأفكار الواردة في المجلة جميعاً تعبّر عن آراء كاتبها، ولا تعبّر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة

توجه المراسلات باسم رئيس هيئة التحرير

كلية الآداب / جامعة الموصل - جمهورية العراق

E-mail: adabarafidayn@gmail.com

الدراسات اللغوية



مجلة محكمة تعنى بنشر البحوث العلمية الموثقة في الآداب والعلوم الإنسانية
باللغة العربية واللغات الأجنبية

العدد: الثاني والسبعون السنة: الثامنة والأربعون

رئيس التحرير

أ.د. شفيق إبراهيم صالح الجبوري

سكرتير التحرير

أ.م.د. بشار أكرم جميل

هيئة التحرير

أ.د. عبد الرحمن أحمد عبد الرحمن

أ.د. محمود صالح إسماعيل

أ.د. علي أحمد خضر المعماري

أ.د. مؤيد عباس عبد الحسن

أ.م.د. أحمد إبراهيم خضر اللهبي

أ.م.د. سلطان جبر سلطان

أ.م. قتيبة شهاب احمد

أ.م.د. زياد كمال مصطفى

المتابعة والتقويم اللغوي

— مدير متابعة هيئة التحرير

م.د. شيبان أديب رمضان الشيباني

— مقوم لغوي/ لغة الإنكليزية

أ.م. أسامة حميد إبراهيم

— مقوم لغوي/ لغة عربية

م.د. خالد حازم عيدان

— إدارة المتابعة

م. مترجم. إيمان جرجيس أمين

— إدارة المتابعة

م. مترجم. نجلاء أحمد حسين

— مسؤول النشر الإلكتروني

م. مبرمج. أحمد إحسان عبدالغني

قواعد النشر في المجلة

- يقدم البحث مطبوعاً بدقة، ويكتب عنوانه واسم كاتبه مقروناً بلقبه العلمي للانتفاع باللقب في الترتيب الداخلي لعدد النشر.
- تكون الطباعة القياسية بحسب المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦ / المتن: بحرف ١٤ / الهوامش: بحرف ١٢)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا تحت سطر ترويس الصفحة بالعنوان واسم الكاتب واسم المجلة، ورقم العدد وسنة النشر، وحين يزيد عدد الصفحات في الطبعة الأخيرة داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورتات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأشياء المشار إليها، تتقاضى هيئة التحرير مبلغ (٢٠٠٠) دينار عن كل صفحة زائدة فوق العدد المذكورين، فضلاً عن الرسوم المدفوعة عند تسليم البحث للنشر والحصول على ورقة القبول؛ لتغطية نفقات الخبرات العلمية والتحكيم والطباعة والإصدار.
- ترتب الهوامش أرقاماً لكل صفحة، ويعرّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول.
- يقدم الباحث تعهداً عند تقديم البحث يتضمن الإقرار بأن البحث ليس مأخوذاً (كلاً أو بعضاً) بطريقة غير أصولية وغير موثقة من الرسائل والأطاريح الجامعية والدوريات، أو من المنشور المشاع على الشبكة الدولية للمعلومات (الانترنت).
- يحال البحث إلى خبيرين يرشحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويحال - إن اختلف الخيران - إلى (محكم) للفحص الأخير وترجيح جهة القبول أو الرد.
- لا ترد البحوث إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر.
- يتعين على الباحث إعادة البحث مصححاً على هدي آراء الخبراء في مدة أقصاها (شهر واحد)، ويسقط حقه بأسبقية النشر بعد ذلك نتيجة للتأخير، ويكون تقديم البحث بصورته الأخيرة في نسخة ورقية وقرص مكنز (CD) مصححاً تصحيحاً لغوياً وطباعياً متقناً، وتقع على الباحث مسؤولية ما يكون في بحثه من الأخطاء خلاف ذلك، وستخضع هيئة التحرير نسخ البحوث في كل عدد لقراءة لغوية شاملة أخرى، يقوم بها خبراء لغويون مختصون زيادة في الحيلة والحذر من الأغاليط والتصحيقات والتحريفات، مع تدقيق الملخصين المقدمين من جهة الباحث باللغة العربية أو بإحدى اللغات الأجنبية، وترجمة ما يلزم الترجمة من ذلك عند الضرورة.

((هيئة التحرير))

المحتويات

الصفحة	العنوان
١٨ - ١	الإعجاز البلاغي في القصة القرآنية قصة قارون مثلاً أ.م.د. عبد الستار فاضل خضر
٤٦ - ١٩	الحداثة وتجليات سلطة القراءة للنص القرآني أ.م.د. فارس عبدالله بدر الرحاوي
٦٨ - ٤٧	الملامح الصوتية عند سيد قطب دراسة تحليلية أ.م.د. فيصل مرعي الطائي
٨٤ - ٦٩	صورة الممدوح في شعر مسلم بن الوليد المعروف (بصريع الغواني) أ.د. غانم سعيد حسن الطائي و م.د. علي غانم سعد الله
١٠٤ - ٨٥	الفروق الدلالية بين المتفق خطأ والمختلف لفظاً ومعنى من المقصور والممدود والمهموز أ.م.د. أحمد ابراهيم خضر و م.د. إيناس وليد أسعد
١٣٠ - ١٠٥	بعض الظواهر الصوتية وأثرها في تحديد أحرف الجذور اللغوية المعتلة مقاييس اللغة لابن فارس أنموذجاً أ.م.د. عزة عدنان أحمد عزت و الباحثة غيداء عادل عبد القادر
١٥٦ - ١٣١	سيرة محمد بن مصطفى التّيره وي وكتابه : (روح الشروح) مع تحقيق قطعة من مقدّمته أ.م.د. معن يحيى محمد العبادي و م.د. شيبان أديب رمضان الشيباني
١٨٢ - ١٥٧	المساءلة الحجاجية في الشعر العربي نماذج مختارة م.د. عبدالله بيرم يونس
٢٠٨ - ١٨٣	مما صحّحه القاسم بن علي الحريري (٥١٦هـ) من مسائل دلالية في كتابه (درة الغواص في اوهام الخواص) م.د.أ حمد مرعي حسن العباس
٢٣٢ - ٢٠٩	الفروق التعبيرية في الحوار بين الرُّسل وأقوامهم في القرآن الكريم - سورة الأعراف أنموذجاً - م.د. أحمد عامر سلطان الدليمي
٢٥٨ - ٢٣٣	أثر الصوت اللغوي في التواصل دراسة في يائية مالك بن الرب م.د. إدريس سليمان مصطفى و م.د. مسعود سليمان مصطفى
٢٩٨ - ٢٥٩	البعد الدلالي للبناء للمعلوم والبناء للمجهول في القراءات القرآنية - سورة الأنعام نموذجاً م.م. هلات حسن جرجيس
٣٢٠ - ٢٩٩	الاصلاحات الاقتصادية في دولة المغول الايلخانية في بلاد ايران والعراق على عهد السلطان محمود غازان (٦٩٤-٧٠٣هـ / ١٢٩٤-١٣٠٣م) م.د. مصطفى هاشم عبد العزيز الحنون

٣٢١ - ٣٤٠	سرايا وبعوث الرسول [٢] في كتاب سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد لمحمد بن يوسف الشامي المتوفي ٩٤٢هـ / ١٥٣٦م دراسة في مصادره م.د. هناء سالم ضايع
٣٧٦ - ٣٤١	المرابطون والموحدون دراسة في عناصر الوحدة والتنوع الاداري والاقتصادي م.د. سائلة محمود محمد عبد القادر
٣٩٤ - ٣٧٧	عطاء النساء في عصر الراشدين - قراءة تاريخية تحليلية- م.م. محمد نجمان ياسين عباس
٤٣٨ - ٣٩٥	ثقافة حقوق الإنسان في ظل الظروف العربية الراهنة الواقع والطموح ا.م.د. حمدان رمضان محمد و م.د. محمد سعيد حسين
٤٣٩ - 458	الصناعات الصغيرة والمتوسطة ودورها في الحد من البطالة دراسة اجتماعية تحليلية م.د.هاني احمد العبادي
٤٥٩ - ٤٨٦	الانعكاسات الاقتصادية للترفيه على الأسرة الموصلية دراسة ميدانية في مدينة الموصل م. أميرة وحيد خطاب
٤٨٧ - ٥١٢	الرسائل الجامعية الممنوحة في الجامعات العراقية في مجال المعلومات والمكتبات: دراسة ببليومترية ١٩٨٨-٢٠١٢ أ.م.سعد احمد إسماعيل و م.م.حسام عبدالكريم عبدالله البدراني
٥١٣ - ٥٥٤	متاجر الكتب العربية على الانترنت نشأتها، محتوياتها، خدماتها، امن معلوماتها أ.م. سميرة يونس سعيد الخفاف و م.م.باحث عبد القادر احمد علي
٥٥٥ - ٥٨٤	تجربة الفهرس العربي الموحد في المكتبة المركزية لجامعة الموصل م. رفل نزار الخيرو و م.م. رواء صلاح الدين زيادة
٥٨٥ - ٦١٦	تحليل الاستشهادات المرجعية لرسائل الماجستير لقسم الإحصاء في جامعة الموصل للعام (١٩٨٨-٢٠٠٩) م. وسن سامي سعدالله
٦١٧ - ٦٤٨	الحوسبة السحابية ومدى أهميتها للمكتبات ومراكز المعلومات م.م. نور فارس العمري و م.م. عمر توفيق عبد القادر
٦٤٩ - ٦٦٦	المظلات الملكية الآشورية في ضوء المشاهد النحتية م.م. ليال خليل إسماعيل
٦٦٧ - ٦٩٤	مفهوم البيئة في المجتمعات المدنية على ضوء الفقه الإسلامي دراسة تحليلية أ.م.د. ميكائيل رشيد علي الزبياري

الملاح الصوتية عند سيد قطب

دراسة تحليلية

أ.م.د. فيصل مرعي الطائي *

تأريخ التقديم: ٢٠١٧/١١/١٦ تاريخ القبول: ٢٠١٧/١٢/٢٠

ملخص البحث :

سيد قطب هو المفسر الوحيد - على حد علمي - الذي وقف عند أصوات النص القرآني المبارك عادةً موسيقى الأصوات وإيقاعها إشعاعاً للنظم ومكناً من مكان التواصل اللغوي، فقد استطاع بحسه المرفه أن يتلمس ذلك الجمال الكامن وراء مجيء الأصوات منسوجة وفق نُسجٍ معينة في سياقاتها المعينة، لتعزز الأصوات بنسجها تلك دلالة الكلمة والجملة والآية.

والذي لفت انتباهي أن سيد قطب - رحمه الله - لمّا ح من الطراز الأول، فهو يوصف الأصوات متلمساً قوة أجراسها وضعفها حاساً بموسيقاها، رابطاً ذلك كله بالدلالة، لكنه في الوقت نفسه لم يؤصل ذلك بمعطيات علم الأصوات من تنغيم وبنية مقطعية وصفات الأصوات ومدود وغير ذلك، ولعل السبب يرجع إلى كونه أديباً يتلمس مواضع الجمال الصوتي بحسب ما يشعر غير معني بأسبابها اللغوية.

وعلمي في هذا البحث أنني أقف على الملاح الصوتية التي لمحها سيد قطب في الأصوات القرآنية في تفسيره (في ظلال القرآن) وكتابه (التصوير الفني في القرآن)، وهي أربعون موضعاً من غير تكرار، من أجل أن أوصل لتلك الملاح وأربطها بمعطيات علم الأصوات حتى تتعزز المشاعر والأحاسيس بالمسائل العلمية، وقد بنيت البحث على ثلاثة مباحث - بحسب ما ورد من ملاح؛ الأول: الملاح الصوتية الناتجة عن طبيعة الأصوات - صفاتها ومخارجها -، وكان في اتجاهين؛ الملاح السياقية، ووردت في عشرة سياقات حللت منها ثلاثة، وملاح المفردات، ووردت في إحدى عشرة مفردة حللت منها خمساً، والثاني: الملاح الصوتية الناتجة عن التشكل المقطعي، وكانت في اتجاهين -

* قسم اللغة العربية/ كلية التربية الإنسانية/ جامعة الموصل .

أيضاً-؛ الملاحم السياقية، ووردت في ستة سياقات حللت منها ثلاثة، وملاحم المفردات وردت في ثلاث مفردات حللتها كلها، والثالث: الملاحم الصوتية الناتجة عن التنغيم، ووردت في عشرة سياقات اخترت منها خمسة للتحليل. وقد اخترت نماذج للتحليل قاربت النصف لعدم إمكانية تحليل جميع النماذج بسبب التحدد بعدد الصفحات.

المبحث الأول

الملاحم الصوتية الناتجة عن طبيعة الأصوات

لمح سيد قطب في بعض النماذج القرآنية ملاحم صوتية ناتجة عن طبيعة الأصوات -من حيث صفاتها ومخارجها- وما تحدثه من تواصلية عالية، وكانت تلك الملاحم في اتجاهين؛ الأول: الملاحم السياقية، والثاني: ملاحم المفردات، وسنبني المبحث على هذين النوعين:

- أولاً: الملاحم السياقية

لمح سيد قطب في عشرة^(*) سياقات ملاحم صوتية ناتجة عن طبيعة الأصوات، اخترنا منها ثلاثة نماذج للتحليل:

١- قوله تعالى: ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾^(١١) الغاشية.

قال سيد قطب في هذا النص: ((تصور الهدوء الآمن، والسلام الساكن، والود الرضي، والظل الندي في العبارة الموحية ﴿لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَغِيَةً﴾ وألفاظها ذاتها تنسم الروح والندى، وتنزل في نعومة ويسر، في إيقاع موسيقي ندي رخي))^(١).

وحين نؤصل لهذا الملاحم ونحلله صوتياً نجد أن سيد قطب قد أحسن وأجاد في توصيفها، فهو شعر بسلاسة أصواتها وخفتها على العموم، وإن لم يعلل لذلك صوتياً، لكننا نقول: إن مرجع ذلك هو صفات تلك الأصوات التي تكون منها النص، فهي - في جملتها- أصوات ضعيفة خفيفة، ولتوكيد ذلك نقول: يمكننا أن نرصد الأمور الآتية:

(*) السياقات العشرة هي: مريم: ٨٨-٩٧، النجم، المعارج، الطارق، الغاشية: ١١، الليل، الضحى، العاديات، المسد، الناس.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت - القاهرة، ط ٢٠٠٨، ٣٧: ٣٨٩٧/٦.

- قلة الأصوات الشديدة في الآية، إذ احتوت على صوت شديد واحد هو (التاء)، والتاء وإن كان شديدا لكنه في الوقت نفسه مهموس وهذا يقلل من شدته.
- ليس فيها إلا صوت واحد من الأصوات المفخمة المستعلية وهو (الغين)، ونلاحظ أيضا أنه قد جاء مكسورا، وأصوات الاستعلاء حين تكون مكسورة تكون على أقل درجات التقخيم^(١).
- فضلا عن ذلك ورود المدود الأربعة (٣) للألف، و (١) للياء، وهي تعطي الآية امتدادا واتساعا يكاد يصور لنا اتساع وامتداد ذلك النعيم المقيم في جنة الخلد.
- هذا الذي ذكرته جعل سيد قطب يقول عن مفردات هذا النص: (تترلق في نعومة ويسر) لأن طبيعة الأصوات التي شكلتها ناعمة وضعيفة وخفيفة في النطق لا تكلف المتكلم جهدا عضليا كبيرا.
- ٢- قوله تعالى: ﴿وَالْعَدِيدَاتِ ضَبْحًا ۝١ فَالْمُورِبَاتِ فَاحَا ۝٢ فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ۝٣ فَأَنْزِلْنَهُنَّ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ۝٥ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾ العاديات
- قال سيد قطب في هذا النص المبارك: ((إن الموسيقى هنا.. فيها خشونة ودمدمة وفرقة، وهي تناسب الجو الصاخب المعفر الذي تنتشؤه القبور المبعثرة، والصدور المحصل ما فيها بقوة، وجو الجحود وشدة الأثرة، فلما أراد لهذا إطارا مناسباً اختاره من الجو الصاخب والمعفر كذلك))^(٢).

(١) ينظر: الدقائق المحكمات في المخارج والصفات وما يتعلق بهما من الأحكام المهمات، هشام عبد الباري محمد، دار الأيمان، الإسكندرية، د.ت: ١٨١، وعلم التجويد - دراسة صوتية مسيرة، غانم قدوري محمد، مطبعة أسعد، بغداد، ط١، ١٩٨٨: ١٢٦.

(٢) التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، د.ت: ١٠٤.

هذا الكلام جميل يصدر من شخص يمتلك ذائقة صوتية عالية، لكنه لم يبين سبب تلك الخشونة والدمدمة والفرقة التي تنتاب موسيقى هذه السورة الكريمة، وإذا أردنا أن نؤصل لذلك من جهة علم الأصوات فإننا نسجل الملاحظ الآتية:

- احتشدت الأصوات الشديدة في السورة المباركة فتكررت بكثرة، فكان لها حضورها اللافت إذ لم يغيب منها صوت، مما أضفى جو الشدة والقوة والفرقة على أصوات السورة، فقد ورد في السورة (٣٨) صوتاً شديداً، توزعت على النحو الآتي:

الصوت	الباء	الهمزة	الدال	القاف	التاء	الكاف	الطاء	الجيم
عدمرات وروده	١٤	٨	٧	٣	٢	٢	١	١

كان أكثرها وروداً (الباء) الموصوف بأنه: شديد مجهور مقلقل، ثم (الهمزة) الموصوف بأنه: شديد مجهور، ثم (الدال) الموصوف بأنه: شديد مجهور مقلقل، وهذه الشدة مع القفلة مع الجهر أحدثت تلك القوة والفرقة التي أحس بها وأدركها سيد قطب.

- ومما عزز جو القوة في السورة ورود الأصوات المطبقة والمستعلية والمفخمة بشكل جيد، إذ إن النطق بها يحتاج إلى جهد عضلي مميز^(١)، هذا فضلاً عن صوتي (القاف) و (الطاء) الموصوفين بالشدة والاستعلاء والتفخيم، وقد وردت أصوات تفخيم واستعلاء أخرى غير الطاء والقاف هي:

الصوت	الصاد	الخاء	الضاد	الغين
عدد مرات الورد	٤	٢	١	١

فأصوات السورة بما حملت من صفات قوية وشديدة ومقلقلة ومفخمة تناسبت أيما تناسب مع الدلالات المحتواة فيها^(٢). مما صوّر تواصلًا لغويًا كبيراً بين النص الكريم ومتلقيه.

(١) ينظر: الأصوات اللغوية رؤية عضوية ونطقية وفيزيائية، سمير شريف ستيتية، دار وائل، عمان، ط١، ٢٠٠٣: ١٤٣.

(٢) ينظر: الدراسة الأدبية - النظرية والتطبيق - نصوص قرآنية، عبد السلام أحمد الراغب، دار القلم العربي، ودار الرفاعي، حلب، ط١، ٢٠٠٥: ١١٠.

ومن الملحوظ أيضاً أن أصوات هذه السورة جاءت على العكس من أصوات الآية التي سبقتها في التحليل، وقد وُفق سيد قطب في توصيف كل منها توصيفاً مناسباً.

٣- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ١ مَلِكِ النَّاسِ ٢ إِلَهِ النَّاسِ ٣ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ٤ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ٥ مِنَ الْغِيَةِ وَالنَّاسِ ٦﴾

قال سيد قطب في هذا النص المبارك: ((ونوع آخر من تصوير الألفاظ بجرسها يبدو في سورة الناس،...، أقرأها متوالية تجد صوتك يحدث وسوسة كاملة تناسب جو السورة، جو وسوسة الوسواس الخناس))^(١).

أدرك سيد قطب أن قراءة السورة متوالية يجعل صوت القارئ يحدث وسوسة تناسب جو السورة، ونحن نقول مؤصلين لهذا الإدراك: إن هذه الوسوسة التي شعر بها سيد قطب وأدركها ناتجة بالدرجة الأساس عن تكرار صوت السين بشكل ظاهر في السورة، فقد تكرر فيها (١٠) مرات من أصل (٦٠) صوتاً صامتاً، فضلاً عن انتهاء فواصل السورة به، فحين يوقف عليه بوصفه صوت فاصلة يكون أكثر تمكناً في الأسماع، وصوت السين صوت (مهموس/ احتكاكي)^(٢) وهاتان الصفتان الضعيفتان^(٣) ناسبتا تلك الوسوسة، فصوت السين أبرز تلك الوسوسة التي يخافت بها شياطين الإنس أهل المكائد والجرائم وأوصلها، فالسين أدل بجرسه الاحتكاكي الهامس على تصوير حالة الهمس الخفي^(٤).

(١) التصوير الفني في القرآن: ٧٨..

(٢) ينظر: الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق: أحمد حسن فرحات، دار المعارف، دمشق، ١٩٧٣: ١٨٥، و علم الأصوات بين القدماء والمحدثين، علي حسن مزبان، دار شموع للثقافة، الزاوية، ط٢، ٢٠٠٩: ٢٦.

(٣) مفهوم القوة والضعف في أصوات العربية، محمد يحيى سالم، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٦: ٧٧.

(٤) ينظر: التحليل الصوتي للنص، مهدي عناد قبها، دار أسامة، عمان، ط١، ٢٠١٣: ١٥٦.

ثانياً: ملاح المفردات:

لمح سيد قطب في إحدى عشرة مفردة^(*) ملاح صوتية ناتجة عن طبيعة أصوات تلك المفردة، فالمفردات تشكلت من أصوات تنسم بصفات معينة، هذه الصفات انسجمت مع دلالة كل المفردات انسجاماً ملحوظاً، وسنختار خمساً منها للتحليل:

١- حَسِيسَهَا:

وردت هذه المفردة في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أُشْتَهَتْ

أَنْفُسُهُمْ خَلَدُونَ﴾ (١٠٢) الأنبياء

قال سيد قطب في هذه المفردة ((ولفظه حسيستها من الألفاظ المصورة بجرسها لمعناها، فهو تتقل صوت النار وهي تسري وتحرق، وتحدث ذلك الصوت المفزع، وأنه يتفرع له الجلد ويقشعر))^(١).

وحين نؤصل لهذا الملاح الصوتي نقول: إن مرجعه إلى صوت السين، هذا الصوت الذي تكرر في المفردة مرتين ليضفي عليها جرساً قريباً جداً من صوت النار وهي تسري وتحرق، وذلك أن صوت السين - كما ذكرنا سابقاً - صوت مهموس رخو وله صفة أخرى كان لها بالغ الأثر هنا وهي صفة (الصغير) هذه الصفة الناتجة عن شدة رخاوته^(٢).

وصغير السين مع همسها ورخاوتها حاكى صوت النار وهي تحرق - أعادنا الله تعالى -.

(*) الألفاظ هي: (خرقوا) الإنعام: ١٠٠، (سارب) الرعد: ١٠، (بروجا) الحجر: ١٦، (حسيستها) الأنبياء: ١٠٢، (ككبوا) الشعراء: ٩٤، (يصطرخون) فاطر: ٣٧، (يدعون) الطور: ١٣، (حاصب) القمر: ٣٤، (عتل) القلم: ١٣، (الطامة) النازعات: ٣٤، (الصاخة) عبس: ٣٣.

(١) في ظلال القرآن / ٤: ٢٣٩٩.

(٢) ينظر: شرح المفصل، ابن يعيش، المطبعة المنيرية، القاهرة، ١٩٦٤: ١٠/١٣٠، و علم الأصوات، برتيل ما لمبرج، مكتبة الشباب، مصر، ١٩٨٥: ١٢٠.

٢ - فَكْبِكُوا:

وردت هذه المفردة في قوله تعالى: ﴿فَكْبِكُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ﴾ (١٤) الشعراء. قال سيد قطب فيها: ((واننا لنكاد نسمع من جرس اللفظ صوت تدفعهم وتكفئهم وتساقطهم بلا عناية ولا نظام، وصوت الكركبة الناشئ عن الكبكية كما ينهار الجرف فتتبعه الجروف فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه)) (١).

وعندما نؤصل لهذا الملمح الصوتي نقول: إن مرجع ذلك الملمح إلى صوتين هما (الباء / والكاف)، فصوت الباء يوصف بأنه (مجهور / شديد / مقلقل) وصوت الكاف (مهموس / شديد) (٢)، ونلاحظ أن صوت الباء في وروده الأول كان بين كافين وكان ساكنا فقلقل قلقله صغرى، وهذا كله عزز معنى المفردة، فضلا عن أن ((الفعل (ككب) مضعف للمقطع (كب) فيدل ذلك على تكرار الكب وتتابعه، كما يدل على الاجتماع والتراكم والتراكب لأهل النار بعضهم فوق بعض وتتابع كبهم والقائهم في النار على وجوههم في دركات الجحيم المتتالية)) (٣)، فتكرار صوتي الباء و الكاف الشديدين مع قلقله الباء الأولى مع كون الفعل مضاعفا انسجم تمام الانسجام مع سياق الوعيد والتهديد لأولئك الغاوين مما عزز التواصلية اللغوية في النص المبارك.

٣ - يَصْطَرِخُونَ:

وردت هذه المفردة في قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرُ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ (٣٧) فاطر.

قال سيد قطب في هذه المفردة: ((فيخيل إليك جرسها الغليظ غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان، المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة، كما

(١) في ظلال القرآن: ٥ / ٢٦٠٥.

(٢) ينظر: الرعاية: ٢٠٣ و ١٤٧.

(٣) الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، عبد الحميد هندأوي، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤: ٦٣.

تلقى إليك ظل الإهمال لهذا الاصطراخ الذي لا يجد من يهتم به أو يلبيه، وتلمح من وراء ذلك كله صورة ذلك العذاب الغليظ الذي هم فيه يصطرخون^(١).

وحين نقوم بتأصيل هذا الملمح صوتياً نرى أن سيد قطب قد أبدع في التوصيف إبداعاً كبيراً، فهو أحس بغلط هذه الكلمة الذي عبر عن غلط هذا الصراخ المنبعث من حناجر أهل النار، وهذا الغلط ناتج عن اكتناز هذه اللفظة بأصوات غليظة هي (الصاد / الطاء / الخاء) فمن صفات الصاد والطاء إنهما صوتان مطبقان مستعليان، والحاء مستعلى أيضاً، وصفنا الإطباق والاستعلاء جعلنا الصوت مفخماً غليظاً^(٢) وهذا ما دفع سيد قطب إلى أن يوصفها بالغلط، وهذا الغلط جعل الكلمة ((تلقى بظلالها على المشهد المفزع كله، وتبدع في عرضه وتصويره وتختزن كل ضجيجها وانفعالاته))^(٣)، وغلط الأصوات و تشكّلها بهذا النسج الباهر يوحي بأن الصراخ قد بلغ ذروته والاضطراب قد تجاوز مداه، فنرى ذلك كله قد تجسد ببروز الإطباق أثر توالي الصاد والطاء، ثم مجيء صوت الراء المكرر الموحى بتكرار ذلك الصياح، ثم الخاء المستعلي، والمد بالواو المعبر عن امتداد ذلك الصياح والصراخ، ثم الترنم بصوت النون ذلك الصوت الذي يمثل نغمة الحزن والألم^(٤) فالمفردة اختزلت لوحة كاملة مرسومة بالأصوات لا الألوان.

٤- يَدْعُونَ :

وردت هذه المفردة في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً﴾^(٥) الطور.

قال فيها سيد قطب: ((وقد يشترك الجرس والظل في لفظ واحد مثل (يَوْمَ يَدْعُوكَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعَاً رَسُولٍ) فلفظ (الدع) يصور مدلوله بجرسه وظله جمعياً، ومما يلاحظ هنا أن (الدع) هو الدفع في الظهور بعنف، وهذا الدفع في كثير من الأحيان يجعل

(١) التصوير الفني في القرآن: ٧٧، و ينظر: في ظلال القرآن: ٥/ ٢٩٤٥.

(٢) ينظر: الأصوات اللغوية -النظام الصوتي للغة العربية، محمد علي الخولي، دار الفلاح، عمان، ١٩٩٠: ٤٦، والدقائق المحكمات في المخارج والصفات: ١٨٠.

(٣) دلالات الظاهرة الصوتية في القرآن الكريم، قاسم بني دومي، عالم الكتب الحديث، اربد، ١٠، ٢٠٠٦: ٢٣٣، وينظر: الإعجاز الفني في القرآن الكريم، عمر السلامي، دار المعارف، دمشق، ١٩٨٨: ٩٣.

(٤) ينظر: الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم: ٦١.

المدفوع يخرج صوتاً غير إرادي فيه عين ساكنه هكذا: (أع) وهو في جرسه أقرب ما يكون من جرس الدّع^(١).

وإذا أردنا أن نؤصل لهذا الملمح تأصيلاً صوتياً نرى أنه يعتمد بالدرجة الأساس على صوت العين المشدد، والعين يوصف بأنه (مجهور، متوسط) وهو يخرج من وسط الحلق^(٢).

ونلاحظ هنا أن سيد قطب قد ربط بين جرس الصوت الناتج عن صفاته وخروجه من مخرج معين وقضية خارجة عن دلالة المفردة أسماها (الظل) و التي هي الصوت الذي يسمع عادة ممن يدفع دفعا قويا في ظهره، وهذه لمحة ذكية منه، فصوت العين المشدد في كل من (بدعون) و (دعا) قد أسهم بشكل كبير في تصوير ذلك الدفع الشديد من الخلف، فالمشدد للعين في الموضعين يشعر أو يكاد بالصوت الذي ينتجه المدفوع.

٥- الصَّاعَةُ:

وردت هذه المفردة في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ﴾ (٣٢) عيس.

قال سيد قطب في هذه المفردة: ((اللفظة تكاد تخرق صماخ الأذن في ثقلها وعنف جرسها، وشقه للهواء شقا، حتى يصل إلى الأذن صاخاً ملحا))^(٣).

وحين نؤصل لهذا الملمح تأصيلاً صوتياً نرى أن السبب الذي جعل سيد قطب يشعر بذلك الثقل والعنف في جرس اللفظة حتى إنها لتكاد تخرق صماخ الأذن هو تشكلها من أصوات ذات صفات مفخمة وقوية - فضلا عن بنائها المقطعي - مما أبرز القيمة التواصلية لهذه اللفظة، فالصوتان الرئيسان المفخمان فيها هما (الصاد و الخاء) وهما صوتان مستعليان والصاد مطبق وهذه صفات جعلتهما مفخمين - كما ذكرنا سابقا -، والملاحظ أيضا أن صوت الألف قد أسهم بشكل فاعل في الثقل والعنف الموجود في اللفظة - على حد تعبير سيد - وذلك لأنه عندما جاء بعد صوت الصاد اكتسب النخيم منه فصار مفخما، وهو مع ذلك ممدود مدا مثقلا كلمياً بست حركات وجوباً^(٤)، وهذا جعل

(١) التصوير الفني في القرآن: ٧٩.

(٢) ينظر: الرعاية: ١٣٦، وعلم الأصوات بين القدماء والمحدثين: ٢٧..

(٣) التصوير الفني في القرآن: ٧٧.

(٤) ينظر: علم التجويد _ دراسة صوتية ميسرة، ١٤٤، والدقائق المحكمات في المخارج والصفات: ١٨٤.

التفخيم يستغرق اللفظة كلها مع المد الواجب وكان ذلك سبباً في إضفاء صفة القوة والعنف والنقل على اللفظة فكأنها تخرق صماخ الأذن إذا قُرئت بشكل صحيح.

المبحث الثاني

الملاح الصوتية الناتجة عن التشكل المقطعي

لمح سيد قطب في بعض النماذج القرآنية ملاح صوتية ناتجة عن ظاهرة التشكل المقطعي، أي أن الذي دعاه إلى وصفها بوصف صوتي معين انتظامها وفق تجمعات مقطعية معينة، وقد كانت هذه الملاح على نوعين، الأول: الملاح السياقية، والثاني: ملاح المفردات، وقبل أن نبدأ بالتحليل نذكر تعريف المقطع فهو: ((وحدة صوتية تبدأ بصامت يتبعه صائت، وتنتهي قبل أول صامت يرد متبوعاً بصائت))^(١)، وأنواعه ستة هي: مقطع قصير مفتوح، ومقطع طويل مفتوح، ومقطع طويل بحركة قصيرة مغلق، ومقطع طويل بحركة طويلة مغلق، ومقطع زائد في الطول بحركة قصيرة مغلق، ومقطع زائد في الطول بحركة طويلة مغلقة^(٢)، ومنهجي في التقطيع الوقوف عند رؤوس الآي.

أولاً: الملاح السياقية:

لمح سيد قطب في ستة^(*) سياقات قرآنية ملاح صوتية ناتجة عن التشكل المقطعي، اخترنا منها ثلاثة نماذج للتحليل:

١- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾^(١١١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ

(١) أبحاث في أصوات العربية، حسام سعيد النعيمي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط ١، ١٩٩٨: ٨، وينظر: علم الأصوات، المبرج: ١٦٤.

(٢) ينظر: علم الأصوات، حسام البهناوي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط ٢، ٢٠٠٨: ١٥١، و المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي، رمضان عبد التواب، مطبعة المدني، المؤسسة السعودية بمصر، ط ٢، ١٩٨٥: ١٠١.

(*) السياقات الستة هي: آل عمران: ١١٩، الأنعام: ١٦٠ - ١٦٥، القيامة: ٧ - ١٠، المرسلات، الانفطار، الفجر: ٢١ - ٢٣.

أَخْرَجَتْهُ، وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٢٢﴾ آل عمران قال سيد قطب في هذا النص المبارك: ((أنها موسيقى الدعاء المتموجة الرخية))^(١) حين نؤصل لهذا الملمح صوتياً نلاحظ أنه قد ارتكز على أساس التشكل المقطعي، فلو قطعنا هذا النص صوتياً سنجد أنه يتسق وفق التشكل المقطعي الآتي: (ر - ب / ب - نا / ما / خ - ل - ق / ت - ها / ذا / با / ط - ل - ن / س - ب / حا / ن - ك - ف - ق - نا / ع - ذا / ب - ن / نار * ر - ب / ب - نا / ا - ن - ذ - ك - م - ن / ت - د - خ - ل - ن / نا / ر - ف - ق - د - ا - خ - ز - ي - ت - هو / و - ما / ل - ظ / ظا / ل - ر / ميد / ن - م - ن / ا - ن / صار).

يظهر لنا من التقطيع السابق أن عدد المقاطع التي تشكل منه هذا النص (٥١) مقطوعاً، كان عدد المقاطع المفتوحة (٣٣) مقطوعاً بنسبة (٦٥،٧٠%)، وعدد المقاطع المغلقة (١٨) مقطوعاً بنسبة (٣٥،٢٩)، فنلاحظ ارتفاعاً ظاهراً في نسبة المقاطع المفتوحة وهذا يتناسب مع امتداد الدعاء وانفتاحه، وظهر جلياً كثرة المقطع الطويل المفتوح المتكون من صامت وحركة طويلة وذلك ليعزز جو الامتداد والانفتاح في الدعاء مما أبرز الوظيفة التواصلية للغة.

أما عن التمجيد الذي ذكره سيد قطب فيتضح في تناوب المقاطع المفتوحة والمغلقة في النص، ذلك التمجيد الذي ينساب على الأذن بهدوء ورخاوة من غير أن يخذلها.

٢- قوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَرَأَ الْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ الْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ

أَيْنَ الْمَفْرُجُ ﴿١٠﴾﴾ القيامة

قال سيد قطب في هذا النص: ((ومن ثم كان الجواب على التهم بيوم القيامة واستبعاد موعدها، سريعاً خاطفاً حاسماً، ليس فيه تريث ولا إبطاء حتى في إيقاع النظم وجرس الألفاظ))^(٢).

(١) التصوير الفني في القرآن: ٩٢.

(٢) في ظلال القرآن: ٦ / ٣٧٦٩.

وإذا أردنا أن نؤصل لهذا الملمح تأصيلاً صوتياً فإننا نلاحظ أنه قد بني على أساس تشكّل المقاطع في النص تشكلاً أعطاه سمة السرعة والخطف والحسم، ولو قطعنا النص سنجد أنه يتسق وفق التشكّل المقطعي الآتي:

(فـ / اـ / ذا / بـ / رـ / قـ / لـ / بـ / صـ / رـ / * / وـ / خـ / سـ / فـ / لـ / قـ / مـ / رـ / * / وـ / جـ / مـ / عـ / شـ / شـ / مـ / سـ / وـ / لـ / قـ / مـ / رـ).

يتضح لنا من التقطيع أن عدد المقاطع التي يتشكل منها هذا النص (٢٣) مقطوعاً، كان عدد المقاطع المفتوحة (١٥) مقطوعاً بنسبة (٢١،٦٥%)، وعدد المقاطع المغلقة (٨) مقاطع بنسبة (٧٩،٣٤%)، ونلاحظ من هذا كثرة المقاطع المفتوحة ولا سيما المقطع القصير المفتوح المتكون من صامت ومتحرك قصير فقد ورد (١٤) مرة من أصل (١٥) مقطوعاً مفتوحاً، وكون المقاطع المفتوحة قصيرة في أغلبها فهذا يفرض إيقاعاً سريعاً على النص لأن نواة هذا المقطع حركة قصيرة وهو مكون من صامت وحركة فقط، هذا كله أعطى سرعة في إيقاع النص أدركها سيد قطب بحسه المرفه، ويُلاحظ أيضاً أن النص قد خلا تقريباً من النوع الثاني من المقاطع المتكون من صامت وحركة طويلة، إذ لم يرد فيه إلا مرة واحدة في كلمة (إذا)، وهذا أيضاً يفعل الإيقاع السريع الخفيف ويعزّزه انسجاماً مع الدلالات التي تحدث عنها النص بغية توصيلها إلى المتلقي، والتي تحدث بسرعة وخفة مع ما تحتاج إليه من قوة وقدرة، وهذا بدوره يجسد عظمة الخالق الجليل وقدرته^(١).

٣- قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكَّادًا^(١١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا^(١٢) وَجِئَ يَوْمَئِذٍ

بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَنْذَكُرُ الْإِنْسَانَ وَاقْنُ لَهُ^(١٣) الذِّكْرُ﴾ الفجر

قال سيد قطب في هذا النص: ((وفي بعض مشاهدنا [أي: السورة] شدّ وقصف سواء مناظرها أو موسيقاها كهذا المشهد العنيف المخيف))^(٢)، وقال أيضاً: ((إنما يرتسم من وراء هذه الآيات ومن خلال موسيقاها الحادة التقسيم الشديدة الأسر مشهد ترجف له

(١) ينظر: الدلالة الصوتية في أي مشاهد القيامة، فيصل مرعي حسن، اطروحة دكتوراه، بإشراف: د. هاني صبري

علي، جامعة الموصل، ٢٠٠٦: ٦٢.

(٢) في ظلال القرآن: ٦ / ٣٩٠٢..

القلوب، و تخشع له الأبصار، والأرض تُدك دكاً، والجبار المتكبر يتجلى ويتولى الحكم والفصل، ويقف الملائكة صفا صفا، ثم يُجاء بجهنم فتقف متأهبة هي الأخرى..^(١)

وحينما نؤصل لهذا الملمح تأصيلاً صوتياً فإننا نرى أنه مبني على أساس التشكل المقطعي لهذا النص، هذا التشكل جعل موسيقاه حادة التقسيم شديدة قاصفة - على حد تعبير سيد قطب .، وإذا قمنا بتقطيع النص سنجد أنه يتسق وفق التشكل المقطعي الآتي:

(ك - ل / لا / إ - / ذا / د - ك / ك - / ت - ل / أ - ر / ض - / د - ك / ك - ن / د - ك / كا * و - / جا / ع - / ر - ب / ب - / د - ك / و - ل / م - ل / ل - ك / ص - د - ف / ف - ن / ص - د - ف / فا * و - / ج - د / ع - / ي - و / م - / ت - / ذ - ن / ب - ر / ج - / ه - ن / ن - د - / م - / ي - و / م - / ت - / ذ - ن / ي - / ت - / ذ - ك / ك - / ز - ل / إ - ر / سا / ن - / و - / أ - ن / ن - / ل - / ه - / ذ - / ذ - ك / ر - ي)

يتضح لنا من هذا التقطيع أن عدد المقاطع التي يتشكل منها هذا النص (٥٨) مقطوعاً، كان عدد المقاطع المفتوحة (٣٥) مقطوعاً بنسبة (٣٤،٦٠%) من عدد المقاطع، و عدد المقاطع المغلقة (٢٣) مقطوعاً بنسبة (٣٩،٦٦%) منه.

نلاحظ من هذه النسب أن المقطع الطويل المغلق قد شكل نسبة جيدة من مقاطع النص، وهذا هو الذي عزز توصيل القوة و الحدة والإخافة الموجودة في النص لتقر في قلب المتلقي، ونرى أن هذا النص جاء على العكس تماماً من النص الذي سبقه في التحليل، كل بحسب دلالاته.

ثانياً: ملامح المفردات:

لمح سيد قطب في ثلاث مفردات ملامح صوتية ناتجة عن ظاهرة التشكل المقطعي، فالسبب الذي جعله يصفها بوصف صوتي معين والذي لم يقف عنده أحد من الدارسين - على حد اطلاعي - هو انتظامها وفق تشكل مقطعي معين ينسجم مع دلالة تلك المفردة انسجماً كبيراً بهدف تحقيق التواصل بين النص ومستقبله لمحبه سيد ووصفه، وهذه المفردات هي:

(١) المصدر نفسه: ٦ / ٣٩٠٦.

١- لَيْبَطَنَّ:

وردت هذه اللفظة في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيْبَطَنَّ فَإِنْ أَصْبَحْتُمْ مُصِيبَةً قَالَ قَدْ

أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيدًا ۝٧٢﴾ النساء

قال سيد قطب في هذه المفردة: ((ولفظه (ليبطنن) مختارة هنا بكل ما فيها من ثقل وتعثر، وإن اللسان ليتعثر في حروفها وجرسها حتى يأتي على آخرها، وهو يشدها شداً، وإنها لتصور الحركة النفسية المصاحبة لها تصويراً كاملاً بهذا التعثر والتثاقل في جرسها))^(١)

وإذا أردنا أن نؤصل لهذا الملمح الصوتي الدقيق فيمكننا القول: إن ذلك التوصيف يرجع إلى التشكل المقطعي للفظ بالدرجة الأساس، وذلك أنها تشكلت مقطعيّاً من ستة مقاطع هي: (لـ - / يـ / ـ / بـ / طـ / طـ - / ئـ - ن / ن).

أربعة منها مفتوحة من النوع الأول (قصير مفتوح)، واثنان مغلقة من النوع (طويل بحركة قصيرة مغلق)، وحينما ندقق في التشكل المقطعي نجد أن المقطع القصير المفتوح يرد في بداية الكلمة مرتين مما يعطي سرعة في إيقاعها لكن المتكلم لا يلبث أن يقف ويتعثر في النطق بسبب ورود المقطع المغلق بعدهما مما يعطي ثقلاً على اللفظ، ثم يأتي المقطع الرابع قصيراً مفتوحاً مرة أخرى فيكون سريعاً في النطق لكن المتكلم لا يلبث أن يقف ويتعثر ثانية بسبب ورود المقطع المغلق بعده ليتثقل اللفظ، ثم يختم اللفظ بالمقطع القصير المفتوح. فالمقاطع بهذا التشكل الموحى الدقيق صورت حال أولئك المبطلين لأنفسهم ولغيرهم المتنافلين عن الجهاد في سبيل الله أيما تصوير وأوصلته أيما إيصال.

٢- يَصْعَدُ:

وردت هذه المفردة في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ

وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ ۚ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ

الرَّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٢٥﴾ الأنعام

(١) في ظلال القرآن: ٢/ ٧٠٥، وينظر: التصوير الفني في القرآن: ٧٦.

قال سيد قطب في هذه المفردة: ((وبناء اللفظ ذاته (يَصْعَد) - كما هو في قراءة حفص - فيه هذا العسر والقبض والجهد، وجرسه يخيل هذا كله))^(١).

وحينما نؤصل لهذا الملمح الدقيق تأصيلاً صوتياً نستطيع أن نقول: إن مرجعية ذلك التوصيف التشكل المقطعي للمفردة بالدرجة الأساس، وذلك أنها تشكلت مقطعيًا من أربعة مقاطع هي: (ي - ص - ع / ع - د / د -).

مقطعان مفتوحان من النوع الأول (قصير مفتوح)، ومقطعان مغلقان من النوع الثالث (طويل بحركة قصيرة مغلق)، وإذا تأملنا في التشكل المقطعي للمفردة نرى أنها قد ابتدأت بمقطعين مغلقين متواليين، وهذا يجعل النطق بهما ثقيلًا صعباً ثم بعد ذلك يأتي المقطعان المفتوحان، والمقاطع بهذا التناوب وهذا الاتساق تُجسّد ذلك العسر والقبض والجهد الذي ذكره سيد لتتسجم صوتياً مع الدلالة التي تكتنز بها اللفظة في سياقها؛ فهي ((حالة نفسية تجسم في حالة حسية، من ضيق النفس، وكربة الصدر والرهق المضني في التصعد إلى السماء))^(٢).

٣- أَثَاقَلْتُمْ:

وردت هذه المفردة في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَثَاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾^(٣) التوبة

قال سيد قطب فيها: ((وهي بجرسها تمثل الجسم المسترخي الثقيل، ويرفعه الرافعون في جهد فيسقط منهم في ثقل))^(٣).

وإذا أصلنا صوتياً لهذا الملمح الدقيق جداً نستطيع أن نقول: إن ذلك التوصيف يرجع إلى التشكل المقطعي للمفردة، وقد تشكلت مقطعيًا من أربعة مقاطع هي: (ه - ث / ث / ثا / ق - ل / ت - م)

(١) في ظلال القرآن: ٣/ ١٢٠٣.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه: ٤/ ١٦٥٥.

ثلاثة منها مغلقة من النوع الثالث (طويل بحركة قصيرة مغلقة)، ومقطع واحد من النوع الثاني (طويل مفتوح)، وحينما ندقق في هذا الشكل المقطعي نلاحظ أن المفردة تبدأ بمقطع مغلق يضيفي صفة الثقل في النطق ويوحي بثقل ذلك الجسم المسترخي، ثم يتبعه مقطع طويل مفتوح يوحي بذلك الرفع الذي يحاول الرافعون أن يرفعوا ذلك الجسد المسترخي المتعلق بالأرض لكنهم لا ينجحون في ذلك، ثم يأتي مقطعان مغلقان ثقيلان موحيان بأن ذلك الجسد قد حسم أمره واختار أن يلصق بتلك الأرض، وبهذا ندرك دقة توصيف سيد قطب لهذه اللفظة وانسجام ذلك التوصيف مع التشكل المقطعي لها، فهي ((قد جاءت معبرة تمام التعبير عن الفكرة التي سيقت من اجلها))^(١) لها الأثر الكبير في توصيلها للمتلقي.

المبحث الثالث

الملاح الصوتية الناتجة عن التنغيم

لمح سيد قطب في بعض السياقات القرآنية ملاح صوتية منبثقة من ظاهرة التنغيم، والتنغيم هو: التغيرات التي تنتاب صوت المتكلم من ارتفاع أو انخفاض للتعبير عن معنى معين من فرح أو غضب أو تهكم أو استهزاء أو تعجب أو استفهام، أو نهى أو تمن وغير ذلك^(٢).

وتقسم النغمات التي يؤدي بها الكلام على ثلاثة أنواع رئيسية^(٣):

١. نغمة صاعدة: وعندها يكون الصوت مرتفعاً.
٢. نغمة متوسطة: وعندها يكون الصوت متوسط الارتفاع.
٣. نغمة هابطة: وعندها يكون الصوت منخفضاً.

(١) الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم: ٥٠.

(٢) ينظر: علم اللغة العام (الأصوات)، كمال محمد بشر، دار المعارف، مصر، ط ٢، ١٩٧١: ١٦٣، ومناهج البحث في اللغة، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٧٩: ٢٨.

(٣) ينظر: التشكيل الصوتي في اللغة العربية- فونولوجيا العربية، سلمان حسن العاني، ترجمة: ياسر الملاح، النادي الأدبي الثقافي، جدة، ط ١، ١٩٨٣: ١٤٠، و التنغيم و دلالات التراكيب، نوزاد حسن أحمد، مجلة كلية الآداب والعلوم، جامعة قار يونس، ع ١، ١٩٩٧: ١٩٨.

وقد لمح سيد قطب في عشرة سياقات (*) ملامح صوتية تعود إلى التنغيم، اخترنا منها خمسة للتحليل:

١- قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَلِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ

تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (٦٣) تُؤَلِّجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ فِي اللَّيْلِ

وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِعِزِّ حِسَابٍ﴾ (٧٧) آل عمران

قال سيد قطب في توصيفه لهذا النص المبارك: ((نداء خاشع، في تركيبه اللفظي إيقاع الدعاء، وفي ظلاله المعنوية روح الابتهاال، وفي التفاتاته إلى كتاب الكون المفتوح استجاشة للمشاعر في رفق وإيناس))^(١).

عندما نؤصل لهذا الملمح الصوتي فإننا نلمح إشارة إلى الأداء الصحيح لهذه الآية بخشوع وهذوء فهي تؤدي بنغمة هابطة، تلك النغمة الموحية الموصلة لمعاني التذلل والانكسار والابتهاال.

ويعزز ذلك الجوَّ الهادئ الخاشع المدوَّد المبنوثة في أثناء الدعاء الواردة في كلمة (تشاء) التي تمد فيها الألف مدًا واجبًا متصلًا . كما يقول أهل التجويد . بخمس حركات^(٢)، وقد تكررت خمس مرات، فضلا عن الوقوف على الفاصلة الداخلية (الخير) والفاصلتين (قدير) و(حساب) بمدود عارضة للسكون يمكن أن تُمد من ٢ ← ٦ حركات^(٣)، وقد تنبّه سيد قطب إلى أثر ذلك المد الذي يعزز أداء النغمة الهابطة الخاشعة بقوله: ((فهذا المد يمنح الدعاء رنة رخية، وعذوبة صوتية، تتناسب جو الدعاء والتوجه والابتهاال))^(٤).

ويمكننا ترسيم النغمة التي تؤدي بها الآية بالشكل الآتي:

(*) السياقات العشرة هي: آل عمران: ٢٦، الأنعام: ١٤، الأنعام: ١٩، الدخان، النجم: ٣٣ - ٥٤، الرحمن: ١ - ٤، الحاقة: ٣-١، الجن، المزمّل: ١ - ١٠، التكاثر.

(١) في ظلال القرآن: ١ / ٣٨٤.

(٢) ينظر: النشر في القراءات العشر، ابن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ٢٠١١: ٢٤٧/١، والدقائق المحكمات في المخارج والصفات، هشام عبد الباري محمد: ٢٤٤.

(٣) ينظر: علم التجويد - دراسة صوتية ميسرة: ١٥٦.

(٤) في ظلال القرآن: ١ / ٥٤٨.

نغمة هابطة



قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَدَةً قُلْ اللَّهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ إِلَهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾ الأنعام

قال سيد قطب في هذا النص المبارك: ((جاء الختام بالإيقاع العالي المجلجل، إيقاع الإشهاد على التوحيد، وإنكار الشرك، والمفاصلة الحاسمة))^(١).

وعندما نؤصل لهذا الملاح الصوتي نقول: إن سيد قطب قد أدرك من خلال المعاني التي تحتوي عليها الآية أنها لا بد من أن تؤدي بتنغيم خاص يسهم في توصيل تلك المعاني القوية الحاسمة الصادحة، فاختار لها النغمة العالية، فحين تؤدي بهذه النغمة العالية المجلجلة تمنح القارئ شعورا بذلك التمكن للتوحيد من قلب القائل وتلك العزة التي امتلأ بها وجدانه، وهو ينكر الشرك وأهله ويفاصلهم مفاصلة حاسمة لا مداهنة فيها ولا مساومة، فالأمر لا يحتمل ذلك .

نغمة صاعدة



ترسيم للنغمة التي يؤدي بها النص:

٢- قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾﴾

الرحمن

قال سيد قطب في هذا النص المبارك: ((ورنة الإعلان تتجلى في بناء السورة كله... تتجلى في إطلاق الصوت إلى أعلى، وامتداد التصويت إلى بعيد، كما تتجلى في المطلع الموقظ الذي يستثير الترقب والانتظار لما يأتي بعد المطلع من أخبار))^(٢).

(١) المصدر نفسه: ٢/ ١٠٤٨.

(٢) في ظلال القرآن: ٦/ ٣٤٤٥..

لقد أدرك سيد قطب بحسه المرفه أن هذه السورة، ولاسيما المقطع الأول منها لا بد من أن يؤدي (بإطلاق الصوت إلى أعلى) أي: بنغمة عالية، يمتد فيها الصوت إلى بعيد، حتى يصل إلى أعماق القلوب، لتقرّ عند المتلقين ما فيه من أخبار يجب أن تكون راسخة في عقيدة المؤمن.

وحين يؤدي هذا المقطع المبارك من السورة بنغمة عالية فإنه يهز المتلقي هزا، ويفتح سمعه وقلبه ويوقظ حسه ووجدانه من أجل أن يثبت هذه المعاني الراقية وما سيأتي بعدها على مدار السورة من أخبار تتجلى فيها لمسات رحمة الرحمن وتعرض آلاءه العظيمة.

وترسيم النغمة التي يؤدي بها النص هو:



٣- قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَزْمَلُ ١﴾ وَاللَّيْلُ إِلَّا قَلِيلًا ٢﴾ نَصْفَهُ ٣﴾ أَوْ انْقُصَ مِنْهُ قَلِيلًا ٤﴾ أَوْزِدَ عَلَيْهِ وَرَتِلَ الْقُرْآنُ ٥﴾

تَرْتِيلًا ٦﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ٧﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلًا ٨﴾ إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا

طَوِيلًا ٩﴾ وَأَذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ١٠﴾ رَبُّ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ١١﴾ وَأَصْبِرْ

عَلَى مَا يَقُولُونَ وَأَهْجِرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ١٢﴾ المزمّل

قال سيد قطب في هذا النص المبارك: ((وشطر السورة الأول يمضي على إيقاع موسيقي واحد، ويكاد يكون على روي واحد، هو اللام المطلقة الممدودة، وهو إيقاع رخي وقور جليل، يتمشى مع جلال التكليف، وجدية الأمر، ومع الأحوال المتتابعة التي يعرضها السياق))^(١).

(١) المصدر نفسه: ٣٧٤٣/٦.

نلاحظ من هذا النص أنه قد أدرك طبيعة خطاب المولى جل وعلا لحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم، فهو خطاب الحبيب للحبيب بإيقاع أبدع في وصفه حين قال:

(رخي وقور جليل)، ويمكننا تأصيل ذلك صوتياً بأنه الأداء بنغمة متوسطة، فهي ليست صاعدة ولا منخفضة، ليست صاعدة لأنه توجيه الحبيب للحبيب ومخاطبته له، وطبيعة خطاب الأحبة أن يكون هادئاً، وليست منخفضة لأنها ضمت في أثنائها معاني جليلة وعظيمة وثقيلة، ضمت أوامر من الجليل سبحانه لحبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم بقيام الليل، وقراءة القرآن، ليكون ذلك زاده في تحمل أعباء الدعوة إلى الله تعالى.

وترسم هذه النغمة بالخطاطة الآتية: ← نغمة متوسطة

٤- قوله تعالى: ﴿أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ﴾ ① حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ② كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ⑤ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ⑥ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ⑦ ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ⑧ التكاثر

قال سيد قطب: ((هذه السورة ذات إيقاع جليل رهيب عميق، وكأنما هو صوت نذير، قائم على شرف عال، يمد بصوته ويدوي بنبرته، يصيح بُؤْم غافلين مخمورين سادرين أشرفوا على الهاوية وعيونهم مغمضة، وحسهم مسحور، فهو يمد بصوته إلى أعلى وأبعد ما يبلغ،...، ثم يقرع قلوبهم بهول ما ينتظرهم هنالك بعد زيارة المقابر في إيقاع عميق رزين))^(١).

الناظر إلى هذا القول يشعر لأول وهلة أن فيه تناقضاً، فتارة يقول: إيقاع السورة عميق في إشارة إلى كون النغمة هابطة ← ، وتارة يقول: إنها صوت نذير يمد بصوته ويدوي بنبرته في إشارة إلى كون النغمة صاعدة ← ، لكننا إذا دققنا في كلامه نجد أنه قد قسم السورة على قسمين ؛ الأول: وهو مطلعها (أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ) ①

(١) في ظلال القرآن: ٦/٣٩٦٢.

حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ بِهِم وهذا المقطع هو الذي يؤدي بنغمة صاعدة يصيح بهم كما يصيح بئوم غافلين مخمورين سادرين، والثاني: هو تنمة السورة (كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ مَا ..) فإنه يؤدي بنغمة هابطة وصفا سيد بقوله (بايقاع رزين) لكي تتسجم مع معاني التخويف والتفزع التي ناسبتها -في نظر سيد- النغمة الهابطة، وكأنه يهمس في آذانهم، وقد صرح بذلك فيما بعد بقوله: ((وما يقرأ الإنسان هذه السورة الجليلة الرهيبة العميقة بإيقاعاتها الصاعدة الذاهبة في الفضاء إلى بعيد في مطلعها، الرصينة الذاهبة إلى القرار العميق في نهايتها حتى يشعر بثقل ما على عاتقه من أعقاب هذه الحياة الوامضة التي يحياها على الأرض))^(١).

فالسورة الكريمة ذات المعاني الجليلة المخيفة حققت التواصل اللغوي على أكمله فهي تؤدي بنغمتين: نغمة صاعدة في مطلعها، ونغمة هابطة في نهايتها، وذلك كله متناسب ومتناسق مع الدلالات التي تحتويها، بغية التأثير في المتلقي وتصوير المعاني له أدق تصوير .

الخاتمة

بعد أن وفقني المولى جَلَّ وعلا لإتمام هذا البحث المبارك الذي خدمت فيه كلام ربي سبحانه، لا بد من تسجيل بعض النتائج التي خلص إليها البحث، ومنها:

❖ لقد لمح سيد قطب في نصوص ومفردات قرآنية ملامح صوتية دقيقة تنم عن رهافة حس ودقة ملاحظة.

❖ برزت القيمة العالية للأصوات في تحقيق التواصل اللغوي بين النص المبارك والمتلقي، فالصوت بمعطياته المتنوعة (من طبيعة أصوات وتشكل مقطعي وتنغيم) اتسق مع الدلالة الكامنة في المفردات أو السياقات فأسهل أيما إسهام في التأثير بالمتلقي.

(١) في ظلال القرآن: ٦/ ٣٩٦٣.

- ❖ بلغ عدد المواضع التي لمح فيها سيد قطب ملامح صوتية في كتابيه موضع الدرس (٤٠) موضعاً من غير تكرار، تنوعت بين الملاح السياقية وملاح المفردات، فكانت الملاح السياقية في (٢٦) موضعاً، وملاح المفردات في (١٤) موضعاً.
- ❖ استطعت - بفضل الله تعالى - أن أورد تلك الملاح إلى ثلاث ظواهر صوتية هي: ظاهرة طبيعة الأصوات - من صفات ومخارج - في (٢١) موضعاً، وظاهرة التشكل المقطعي في (٩) مواضع، وظاهرة التنغيم في (١٠) مواضع.
- ❖ هناك بعض المفردات والسياقات قد تناولها بعض الدارسين بالتحليل لكنهم لم يؤصلوها كما أصَّلَناها، منها مثلاً (اثاقلتم / يصعد) و(كلا إذا دكت الأرض دكاً) فأنا - بفضل الله تعالى - قد قدمت قراءة جديدة في تأصيلها صوتياً.
- ❖ وردت الملاح الصوتية الناتجة عن طبيعة الأصوات في السياقات والمفردات، وكذلك وردت الملاح الصوتية الناتجة عن التشكل المقطعي، ولم ترد الملاح الناتجة عن التنغيم إلا في السياقات.

Sayed Quttob's Phonetic Features:

Analytical study

Asst. Prof.Dr.Fesal Mrey AlTaiy

Abstract

The current study deals with the phonetic features highlighted by Sayed Quttob in his two books: (fi dhilal Al-Quran) and (Al-Tasweer Al-fanii fi AL-Quran).

As far as I know Sayed Quttob is the only interpreter who dealt with sound of the Holly Quran . He considers sound with its musical impact as a guideline for all systems, and a source for all linguistic studies. Due to his clear sense, He was able to recognize all that hidden beauty brought by all the perfect sounds following certain procedures which strengthen then the impact of the word, the sentence and the verse.